الدّرس الثّالث:

أنــواع الـدّلالة

تقوم الدّلالة على أسُسٍ أهمّها:

1/ اللّفظ المفرد وأنواع أصواته وارتباطه بمعناه.

2/ تَولُّد ألفاظ جديدة من الأصل الواحد وارتباطها بمعانيها.

3/ صلة الكلمة بغيرها من العبارات، إذ لا غِنَى لها عن نظرائها، ولا يُفهمُ معنى اللّفظ بغير جملة، فاللّغة كلام مترابط قبل أن تكون كلمات متناثرة.

وعليه؛ فقد قسّمَ العلماءُ الدّلالة إلى ستّة أنواع: معجميّة . صوتيّة . صرفيّة . نحويّة . سياقيّة . مقاميّة.

- **الـدّلالة المعجميّة:**

هي التي وضعها الأسلاف للألفاظ المختلفة، وتكفّلت ببيانها معاجم اللّغة حسبما ارتضته الجماعة واصطلحت عليه. وتُستعملُ في الحياة اليوميّة بعد تعلُّمها بالتّلقين والسّماع والقراءة...ويتطلّب هذا التّعلّم زمنًا ليس قصيرًا حتّى يسيطر المرء على لغة أبويه.

وقد جمع العرب تراثهم في المعاجم اللّغويّة التي حملت طابعًا أصيلًا للألفاظ ودلالاتها قبل اختلاط العرب بغيرهم، غير أنّها تفسّر الألفاظ دون ملاحظة ما طرأ عليها من تغيير سبقَ جمعها، وهي دلالة عُرضةٌ للتّغيير نتيجة اختلاف حياة الأجيال المتعاقبة. ومن أمثلة ذلك ألفاظ الصلاة والزّكاة والخليفة... بل إنّ هناك ألفاظًا قد تطوّرت دلالتها إلى الضّدّ، من مثل: "طويل اليد" التي كانت تعني الكرم، وأصبحت حاليا تدلّ على السّرقة.

- **الـدّلالة الصّوتيّة:**

وهي ما يكون بين أصوات بعض الكلمات وطرائق نطقها، وبين معانيها من ارتباط، وقد اكتشف العلماءُ في طائفة من الألفاظ العربيّة صلةً بين منطوقها ومعانيها، وأنّ العربيّ كان يدلّ على المعنى الضّعيف بأصوات ضعيفة، وعلى المعنى القويّ بأصوات قويّة. من ذلك كلمتا (النّضح) و(النّضخ)، فكلتاهما لسَيَلان الماء، إلّا أنّ الأوّل سَيَلان ضعيف فناسبته الحاءُ الرّقيقة، والثّاني سَيَلان قويّ فناسبته الخاءُ الغليظة. ومنها كلمتا (سدّ) و(صدّ)، فكلتاهما لمعنى الحاجز إلّا أنّ الأوّل لسدّ الباب ونحوه، وهو ضعيف فاستخدم السّين الضّعيفة، والآخر لجانب الجبل وهو قويّ فاستخدم له الصّاد القويّة.

وللنّبر والتّنغيم أيضًا علاقة بالمعنى, خاصّة في العامّيات كقولك لشخص: "رائعٌ جدّا" على سبيل التّهكّم أو المدح... والنّغمةُ هي التي تحدّد الدّلالة.

- **الـدّلالة الصّرفية:**

تؤدي طرائق البنية واشتقاق الصّيغ اللّغويّة دورًا كبيرًا في الدّلالة على المعنى، وصيغُ الأفعال . الماضي والمضارع والأمر، تدلّ على الحدث وزمنه، وما يتّصل بها من حروف الزّيادة والتّوكيد واللّواحق الأخرى وما يدخلها من التّضعيف وغيره له أثرٌ في توجيه المعنى.

فمثلًا تُزادُ الهمزة في أوّل الفعل للتّعدية مثل: (أكرمتُ محمّدًا)، ولحلول وقت الشيء مثل: (أحصدَ الزّرعُ) أي حان وقتُ حصاده، والدّخول في زمن ما مثل: (أمسى) أي دخل في وقت المساء، و للإزالة مثل: (أعجمتُهُ) أي أزلتُ عُجمته.

وتضعيف العين مثلًا يفيد قوّة الحدث وكثرته كقولهم: قطّع . كسّر . اعشوشب . اخضوضر...

وصيغُ الأسماء تحمل العديد من المعاني التي تتنوّع بتنوّعها كأسماء الفاعلين والمفعولين وصيغ المبالغة وأسماء الزّمان والمكان والتّصغير والجموع... فلكلّ منها معنى تؤدّيه.

وتظهر المعاني بالرّجوع إلى كتب الصّرف والأبنية، وقد نيَّفت معاني الصّيغ . في صيغ الأسماء وحدها . على الألف كما ذكر ابن القطّاع في كتابه "الأبنية".

- **الدّلالة النّحويّة:**

تؤثّر أنماط التّركيب النّحويّ في أداء المعنى لأنّ ترتيب الكلمات محكوم بقواعدَ ونُظُم، وفي العربيّة طرائق خاصّة لتركيب الجمل. فإذا قلنا مثلًا: (دراسةُ ظاهرة المعنى ذاتُ أهمّيّة قصوى في البحث اللّغويّ) فهذه جملة لها معنى خاصّ، أمّا إذا غيّرنا هذا التّركيب على نحو (ظاهرة دراسة أهمّيّة في البحث قصوى اللّغويّ المعنى) فإنّ ذلك يؤدّي إلى فساد المعنى.

لذلك يشترط علماء النّحو أن يجري ترتيب الكلمات حسبما رسموه من قواعد اجتنابًا للغموض أو الفساد. وقد عولجت صلاحيّة التّراكيب وسقمها في علم البلاغة الذي وضع القوانين لذلك، وبهذه القوانين حكمَ على قول الفرزدق – مثلًا وهو يمدح – بالرّكاكة والفساد:

وما مثلُهُ في النّاس إلّا مُمَلّكًا * أبو أمّهِ حيّ أبوهُ يُقاربُهْ**

والمعنى الذي أراده الفرزدق الشّاعر هو: وما مثلُهُ (الممدوح) شخصٌ حيّ يقاربهُ من النّاس إلّا ابنُ أختهِ الخليفة!!

ولا ينبغي أن نُغفلَ أبدًا أنّ الإعراب (الحركات الإعرابيّة) هو الذي يجعلُ المعنى مختلفًا من حركة إلى أخرى، وهذه الأمثلة بيانٌ لذلك:

– ما أحسنَ محمّدًا ــ تعجّب

– ما أحسَنُ محمّدٍ؟ ــ استفهام

– ما أحسنَ محمّدٌ ــ نفي

- **الـدّلالة السّياقيّة:**

الكلمة بون شكّ تؤثّر في معنى الجملة، ولكن أحيانًا يحدثُ العكس: الجملة تؤثّر في معنى الكلمة، وهذا ما يُعرَفُ بالدّلالة السّياقيّة.

إنّ كثيرًا من الكلمات يختلف معناها حسب السّياق اللّغويّ الذي تقعُ فيه، ويحدثُ أن نفهمَ كلمةً ما، و نحن نقرأ أو نسمع، ثمّ نُعدّلُ معناها في ضوء السّياق اللّغويّ التالي. وإذا كان لكلمةٍ ما عدّة معانٍ غير سياقيّة، فإنّ السّياق اللّغويّ هو الذي يُحدّد المعنى المقصود من بين تلك المعاني.

تأمّل الأمثلة الآتية، وركّز على كلمة "فصل" :

– قرأتُ الفصل الخامس من الكتاب

– الرّبيع أجملُ فصلٍ من فصول العام

– نحنُ الآن في الفصل الأوّل من السّنة الدراسيّة.

– شاهدنا الفصل الثاني من المسرحيّة.

– استلمَ العاملُ قرار الفصل من العمل.

– قال تعالى: "وإنّهُ لقولٌ فصلٌ".

نلاحظ أنّ كلمة (فصل) يتغيّر معناها من جملة إلى أخرى، ويتحدّد المعنى في كلّ حالة حسب السّياق اللّغويّ.

- **الـدّلالة المقامية:**

إنّ معنى الجملة لا يتحدّد دائمًا وبشكل مطلق بمفرداتها ومعناها التركيبيّ، إذ إنّ هناك مؤثّرات خارج الجملة قد تؤثّر في معناها قليلًا أو كثيرًا. ومن هذه المؤثرات:

– الحركات الجسمية: فقد يحرّك المتكلّمُ يده أو أصابعه أو رأسه... وهي حركات تؤثّر في معنى الجملة بطريقة أو بأخرى، إلى درجة يمكن أن تناقض هذا المعنى.

– انفعالات الوجه: يُبدي الوجه انفعالات متعدّدة أثناء الكلام مثل النّدم والسّرور والحزن والأسف والشّوق... وكثيرٌ من هذه الانفعالات تظهر في العينين – كونهما مرآةً للنّفس – كما تظهر في شكل الشّفتين ووضعهما...

– النّغمة العامّة: إذا استمعت إلى شخص يتكلّم دون أن تراه، فإنّك تستطيع أن تعرف من نغمة صوته نوع انفعالاته. والنّغمة في الصّوت تكشف نفسية المتكلّم؛ هل هو مسرور أم غاضب أم متوتّر أم آسف...

– مستويات المتخاطبين وأدوارهم: العلاقة بين المتكلّم والمستمع تؤثّر في معاني الجمل المتبادلة بينهما، ومن أمثلة ذلك:

أستاذ ـ طالب

أب ـ ابن

صديق ـ صديق

رئيس - مرؤوس

الأستاذ إبراهيم صالحي